الآيات من 114 - 115

ظلم مانع الصّلاة في المساجد، وصحّة الصّلاة في أيّ مكان

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَـٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾.

أسباب النزول والمناسبة

سبب نزول الآية (١١٤): روى ابن جرير عن ابن زيد أن مشركي مكّة حالوا بين رسول الله ﷺ وبين دخول مكّة يوم الحديبية، حتّى اضطر إلى نحر هديه بذي طوى وهادنهم. فقال لهم: "ما كان أحد يُردّ عن هذا البيت، وقد كان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه فيه فلا يصدّه"، لكنّهم رفضوا دخوله قائلين: "لا يدخل علينا من قتل آباءنا يوم بدر وفينا باق!" [١].

وعلى أيّ حال، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ممّا يجعل هذه الآية تشمل أهل الكتاب وغيرهم ممّن يسلكون ذات النهج. وينطبق ذلك على ما وقع من تيطس الروماني، الذي دخل بيت المقدس بعد رفع المسيح عليه السلام إلى السماء بنحو سبعين سنة، فقام بتخريبه، وهدم هيكل سليمان، وأحرق بعض نسخ التوراة، وذلك بعدما أنذرهم المسيح عليه السلام بهذا المصير.

كذلك، تتناول الآية **محاربة اليهود للمسلمين من أتباع سيدنا عيسى** عليه السلام، ومن بينهم بولس، الذي كان يشي بهم عند الرومان. وينطبق أيضًا على الحملات الصليبيّة، حيث أغار الصليبيون على بيت المقدس وغيره من بلاد المسلمين، فقاموا بصدّ المسلمين عن المسجد الأقصى وتخريب الكثير من المساجد. ويتكرّر هذا المشهد في عصرنا الحالي مع اعتداءات اليهود على مساجد فلسطين، ومحاولاتهم المتكررة لهدم المسجد الأقصى، فضلًا عن إحراقه وتخريبه.

سبب نزول الآية (١١٥): وهذا - والله أعلم - فيه تزكية لرسول الله ﷺ وأصحابه الذين أُخرجوا من مكّة، وفارقوا مسجدهم ومصلّاهم؛ فقد كان النّبيّ ﷺ يصلّي في مكّة متوجهًا إلى بيت المقدس، مع وجود الكعبة بين يديه. ولمّا قدم المدينة، استمرّ في التوجه إلى بيت المقدس مدّة ستة عشر شهرًا، ثمّ صرفه الله تعالى إلى الكعبة، فجعلها قبلته الدائمة، ولهذا يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾

وقال آخرون، بل نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ إذنًا من الله أن يصلّي المتطوّع- صلاة النّافلة- حيث توجّه من شرق أو غرب في سفره، لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه كان يصلّي حيث توجهت به راحلته، قَالَ: "وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْعَلُهُ"[٢] ويتأوّل هذه الآية: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، وقيل نزلت في قوم عميت عليهم القبلة، فصلّوا إلى أنحاء مختلفة، فلمّا أصبحوا تبيّنوا خطأهم[٣].

وعن ابن عمر أنّه كان إذا سُئل ﷺ عن صلاة الخوف وصفها، ثمّ قال: ﴿فَإِنْ كَانَ خَوْفٌ هُوَ أَشَدَّ مِنْ ذَٰلِكَ، صَلَّوْا

(١) ذكره الطبريّ في تفسيره، عن ابن زيد، باب: وأما قوله ﴿وسعى في خرابها﴾ فإنّ معناه، ج٢، ص٤٤٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده، عن ابن عمر، حديث رقم: ٥٠٤٠، مسند: المكثرين من الصّحابة، مسند: عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، الحديث صحيح.

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره، باب: سورة البقرة، الآية: ١١٥، ج١، ص٢٧١-٢٧٣.

رِجَالًا قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ أَوْ رُكْبَانًا، مُسْتَقْبِلِي القِبْلَةِ أَوْ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِيهَا ﴾[1].

قال ابن جرير: ويحتمل ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ﴾ وجوهكم في دعائكم لي فهنالك وجهي، أستجب لكم دعاءكم. وأخرج مجاهد قال: لمّا نزلت ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2] قالوا: إلى أين؟، فنزلت ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[3].

المعنى العام

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾.

يقول الحقّ ﷻ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ لا أحد أكثر وأعظم جرمًا ممّن يمنع مساجد الله من أن يذكر اسم الله فيها، جماعة أو فرادى، في صلاة أو غيرها، ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ حيث عطّل عمارتها، ﴿أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَآئِفِينَ﴾ بخشية وخشوع، فكيف يتجرّأون على تخريبها؟ ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فنالهم في الدُّنيا خِزْيٌ وهو قتل الحربيّ، وضرب الجزية على الذميّ، وخزي المشركين قتلهم يوم الفتح، وإذلالهم بدخولها عليهم عنوة، ولمن مات على الكفر في الآخرة عذابٌ عظيم.

هذه الآية- وإن نزلت في الكفّار- فهي عامّة لكلّ من يمنع النّاس من الذّكر في المساجد، كيفما كان قيامًا أو قعودًا، جماعة أو فرادى.

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ* إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُوْلَـئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[4] فليس المراد بعمارتها، زخرفتها وإقامة صورتها فقط، إنّما عمارتها بذكر الله فيها وإقامة شرعه، ورفعها عن الدّنس والشّرك.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ فيه أمر للمسلمين الذين حوربوا بعد رفع عيسى عليه السلام ومُنعوا من دخول المسجد الأقصى، بأن يصلّوا حيثما استطاعوا.

يقول تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ فالجهات كلّها لله، لا يختصّ ملكه بمكان دون آخر، فإذا مُنعتم من الصّلاة في المساجد ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ﴾ ففي أي مكان كنتم، وولّيتم وجهكم إلى القبلة التي أُمرتم بالتّوجه إليها ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ فثمّ جهته التي أمر بها، فهو عالم مطّلع على ما تفعلوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ واسع سبحانه بإحاطته بالأشياء، أو برحمته يريد التّوسعة على عباده، عليم بمصالحهم وأعمالهم، ما يغيب عنه منها شيء في الأماكن كلّها.

عَنِ ابن شِهَابٍ، أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: "﴿لَا يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ﴾" قَالَ مَالِكٌ: قَالَ ابن شِهَابٍ: فَفَحَصَ عَنْ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ حَتَّى أَتَاهُ الثَّلَجُ وَالْيَقِينُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ﴿لَا يَجْتَمِعُ دِينَانِ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ﴾، فَأَجْلَى يَهُودَ خَيْبَرَ"[5]. وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما من آخر قوله ﷺ: ﴿أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ﴾[6].

---

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن عبد الله بن عمر، حديث رقم: ٤٥٣٥، كتاب: تفسير القرآن، باب: قوله ﷻ: ﴿فإن خفتم فرجالًا﴾.

(٢) سورة غافر، الآية: ٦٠.

(٣) ذكره الطبريّ في تفسيره، عن مجاهد، باب: يعني ﷻ بقوله: ولله المشرق والمغرب، ج٢، ص٤٥٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٧-١٨.

(٥) رواه مالك في الموطّأ، عن ابن شهاب وعن عمر، حديث رقم: ١٨، كتاب: الجامع، باب: ما جاء في إجلاء اليهود من المدينة.

(٦) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٣١٦٨، كتاب: الجزية، باب: إخراج اليهود من جزيرة العرب.

ما يستخلص من الآيات

في العقيدة

من هدي الآيات:

١. عظم جريمة من يتعرّض للمساجد بأيّ أذىً أو إفساد.

٢. وجوب حماية المساجد من دخول الكافرين، إلّا أن يدخلوها بإذن المسلمين رجاء هدايتهم.

٣. عظيم أجر تلاوة كتاب الله وتدارسه. فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[١].

٤. وجوب استقبال القبلة إلّا عند العجز فيسقط هذا الواجب.

٥. عن النّبيّ ﷺ، قال: «وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسَاجِدَ وَطَهُورًا، أَيْنَمَا أَدْرَكَتْنِي الصَّلَاةُ تَمَسَّحْتُ وَصَلَّيْتُ، وَكَانَ مَنْ قَبْلِي يُعَظِّمُونَ ذَلِكَ، إِنَّمَا كَانُوا يُصَلُّونَ فِي كَنَائِسِهِمْ وَبِيَعِهِمْ»[٢].

٦. العلم بإحاطة الله تعالى بالنّوايا، فلا يخفى عليه من أمر العوالم شيء. والله واسع فلا يضيّق أحد بدين الله واسعًا، لذا على الفقيه أن يُفتي النّاس بالفتوى، ويأخذ لنفسه بالتّقوى. واعلم أنّ اختلاف الأئمّة من رحمة الله بعباده.

٧. فقه الاختلاف وتقبّل الآخر.

٨. القاعدة: لا يُنكَر على المختلف فيه.

٩. العبرة بأقوال الأئمّة الموافقة لما جاء في الكتاب والسّنّة، وما أجمع عليه سلف الأمّة، غير مُخالف لقرآنٍ أو حديث أو إجماع.

معنى قوله تعالى ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾

الله واحد أحد، ليس بجسم وليس مركّبًا من أجسام، وأمّا ما ورد من الآيات القرآنيّة والأحاديث النّبويّة من وصفه تعالى بما يوهمُ ظاهره ذلك، كاليد والوجهُ كقوله تعالى: ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[٣] ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[٤] ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾[٥].

قال السّلف الصّالح عن اليد، والوجه، والغضب، والرّضى، والمحبّة، إنّ لها معنى يليق بجلال الله. وقالوا أيضًا، إنّها صفات قائمة بذات الله تعالى، كما يليق بجلاله، وليست اليد جارحة، أو جزءًا، وليس الوجه جارحة أو جزءًا، وليس الغضب عبارة عن انفعالات، أو شعور بالعقوبة، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

قال الإمامُ أبو حنيفة ﷺ في كتابه الفقه الأكبر: الكيفُ في الله حرامٌ، أي الكيفيّة هي من صفات الأجسام والله تعالى منزّه عن ذلك. وفي متن جوهرة التّوحيد

وَكُلُّ نصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا ... أَوِّلْهُ أَوْ فَوِّضْ وَرُمْ تَنْزِيهَا

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٦٩٩، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن.

(٢) رواه أحمد في مسنده، عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدّه، حديث رقم:٧٠٦٨، مسند: المكثرين من الصحابة، مسند: عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) سورة الفتح، الآية: ١٠. (٤) سورة ص، الآية: ٧٥. (٥) سورة الرحمن، الآية: ٢٧.

من أسماء الله الحسنى: الواسع

شرح الاسم: الواسع

اسم الله **الواسع** يرتبط مع كلّ اسمٍ من أسمائه، يعني علمه واسع ولطفه واسع...

هو الذي وسِع جوده جميع الكائنات، وعلمه جميع المعلومات، وقدرته جميع المقدورات، فلا يشغله شأن عن شأن.

اعلم أنّ سعة جوده على نوعين: نعمة نفع، ونعمة دفع. فنعمة النّفع: ما أعطاهم، ونعمة الدّفع: ما كفاهم وصرف عنهم.

التّعلّق باسم الله الواسع:

- أن تطلب من الله تعالى أن يجود عليك بواسع العلم وواسع الحلم والحال والرّزق، حتّى تتّسع دائرة العلوم والمعاني والأخلاق، فالله يوسّع لك أخلاقك، لحديث النّبيّ ﷺ: ﴿إِنَّكُمْ لَا تَسَعُونَ النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ وَلْيَسَعُهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ﴾[1] وفي رواية: ﴿فَسَعوهُم بِأَخْلاقِكُمْ﴾.
- اِستزد من الله تعالى علمًا ومعرفةً بالله ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2]. فالمعرفة بالله وجمال الله وتجلّيات الله ومعاني القرآن لا تنتهي، فالله واسع. ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[3].
- اِسأل الله تعالى رزقًا يغنيك ولا يطغيك من أمور الدّنيا.
- أُطلب من الله ووسّع المطلب، ووسّع مشهدك، فإنّ رحمته أوسع من ذنوبك ومغفرته أوسع من عيوبك.

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، " فَقَالَ: "وَاذُنُوبَاهُ وَاذُنُوبَاهُ"، فَقَالَ هَذَا الْقَوْلَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مغفرتُكَ أَوْسَعُ مِنْ ذُنُوبِي وَرَحْمَتكَ أَرْجى عِنْدِي مِنْ عَمَلِي﴾. فَقَالَهَا ثمّ قَالَ: ﴿عُدْ﴾فَعَادَ ثُمَّ، قَالَ: ﴿عُدْ﴾فَعَادَ، فَقَالَ: ﴿قُمْ فَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ﴾"[4].

من أسماء الله الحسنى: العليم

شرح الاسم: العليم

- المبالغة في العلم، والعليم صفةٌ من صفات الله ﷻ، وهو المحيط بجميع المعلومات ولا يشغله علمٌ عن علم. وهو علّام الغيوب، لأنّ الله تعالى يعلم ما كان وما يكون قبل كونه وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.
- لا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السّماوات، يعلم دبيب النّملة السّوداء على الصّخرة الصمّاء في الليلة الظّلماء، ويدرك حركة الذّر في وجود السّماء، ويعلم السرّ وأخفى، ويطّلع على هواجس الضّمائر، وحركات الخواطر.
- عنْ وَهْبٍ، قَالَ: ﴿إِنَّ للعِلْمِ طُغْيَانًا كَطُغْيَانِ الْمَالِ﴾[5]

فإيّاك أن تفتخر في العلم وتتكبّر به، أو أن ترى نفسك نلته بحولك وقوّتك، ومن تعلّم العلم طالب نفسه أولًا بالعمل ثمّ نصح وعلّم. قال الإمام علي عليه السلام: "الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ، الْعِلْمُ يَحْرُسُكَ، وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ، الْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْعَمَلِ، وَالْمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ"[6].

---

(١)واه الحاكم في المستدرك، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٤٢٨، كتاب: العلم، باب: توقير العالم، الحديث صحيح.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٤ (٣) سورة الكهف، الآية: ١٠٩.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك، عن عبيد الله بن محمّد بن جابر بن عبد الله، عن أبيه، عن جده، حديث رقم:١٩٩٤، كتاب: الدعاء والتكبير والتهليل، باب: وأما حديث رافع بن خديج.

(٥) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، عن وهب، كتاب: فمن الطبقة الأولى من التابعين، باب: وهب بن منبه ومنهم الحكيم الدامغ.

(٦) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء، عن علي، كتاب: المهاجرون من الصحابة، باب: وصيته لكميل بن زياد.

في الأمر والنّهي

العمل بالآيات:

١. تعظيم شعائر الله في المساجد

- شارك في ترتيب المسجد وتهيئة أجواء تجذب الناس إليه؛ فهو جزء من تعظيم شعائر الله.
- قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾.

٢. الحثّ على حلقات الذِّكْر في المساجد

- ادعُ الناس إلى حضور حلقات الذِّكْر في المساجد، وذكّرهم بفضلها.
- قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الْجَنَّةِ، فَارْتَعُوا». قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ».

٣. صلاة النافلة في السفر

- أحيِ سنة النّبيّ ﷺ بصلاة النافلة أثناء السفر، ولو كانت المركبة متّجهة إلى غير القبلة.
- قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾.

٤. الحديث في المسجد

- تحدّث في المسجد عند الضرورة فقط، واحرص على خفض صوتك حتّى لا تؤذي من يصلي أو يقرأ.
- عن رسول الله ﷺ: «أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُرْفَعَ الرَّجُلُ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ قَبْلَ الْعَتَمَةِ وَبَعْدَهَا».

٥. حكم البيع والشراء في المسجد

- ابتعد عن البيع والشراء في المسجد، فذلك مكروه بشدة[١].
- قال رسول الله ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي الْمَسْجِدِ، فَقُولُوا: لَا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ»".

في الأخلاق والآداب

التخلّق باسم الله تعالى الواسع:

- أن تتقبّل آراءَ المُخالفينَ لَك، وتكونَ سَريعَ الرِّضا إذا غَضِبَت، تقبلُ الاعتذارَ ممَّن اعتَذَرَ مِنك، وتتجاوز...
- اسأل الله تعالى من واسع فضله، فإنّه يعلم ولا تعلم، ويقدر ولا تقدر، وهو علّام الغيوب. لذلك فإنّ التّخلّق باسم الله الواسع ينفي الحسد والحقد عنك، لأنّك صاحب صدرٍ واسع، فكلّ من آذاك أو ضرّك أو تكلّم عنك بسوءٍ فالله يعفو عنك وعنه، ويغفر لك وله، فصاحب الصبرِ الواسع لا يرى أنّ الأذى من عبد بعينه أصلًا، بل يعلم أنّ الله تعالى سخّره لهذا الفعل ومقدَّر عليه من الله تعالى.
- قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَى، وَإِذَا اقْتَضَى»[٢]، سمحًا يعني واسع الصّدر، جوّادًا متساهلًا، لا يدقّق على العباد، فكن واسعًا حتى يُوسّع الله عليك، لا تدقّق على العباد فيدقّق الله عليك، عاملهم بالسّعة.
- إذا أحببت أن يوسّع الله عليك عطاءه، أكثر من الصّلاة والسّلام على رسول الله ﷺ. والواسع سبحانه إذا أعطى أدهش.

(١) أجاز بعض العلماء البيع في المساجد؛ إلا أن الذي كره إشاده ورفع الصوت بسببه كما في إنشاد الضالة.

(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن جابر بن عبد الله، حديث رقم: ٢٠٧٦، كتاب: البيوع، باب: السهولة والسماحة في البيع والشراء.

- وسّع على العباد: إذا رزقك الله المال فوسّع في العطاء، وإن رزقك العلم فوسّع في التّعليم، حتّى في المجالس وفي صفوف الصّلاة. سِرْ بين النّاس وأنت توسّع على العباد وتذكّرهم بواسع فضل الله وواسع رحمته وواسع كرمه وواسع جوده وأنّ الله على كلّ شيءٍ قدير، فيتجلّى الله عليك بواسع حبّه وواسع رضوانه وواسع فتحه وواسع عرفانه، ويجعلك من أحبّ العباد إليه.
- تخلّق باسم الله الواسع يأتي الفرج والنّصر، حتّى إنّ التّوبة ودخول الجنّة أسهل إذا سألت الله من واسع فضله.

التوجيهات:

- اِحذر أن تكون سببًا في منع إقامة طاعةٍ من الطّاعات في بيوت الله، فهذا من أشدّ الظّلم، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ﴾[1].

من آداب المسجد، أحكام فقهيّة يجب معرفتها:

١. أداء التّحيّة عند الدّخول سنّة مؤكّدة، لحديث رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ، فَلا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ»[2].

٢. الحرص على نظافة المسجد، والبعد عن كلّ ما يُلحق به الأوساخ والنّجاسات، ولهذا نهى الشّرع عن البصاق في المسجد، قال رسول الله ﷺ: «البُزَاقُ فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا»[3] وقال: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ، لَا تُدْفَنُ»[4] وقد عزل النّبيّ ﷺ إمامًا بصق اتّجاه القبلة، وقال: «إِنَّكَ آذَيْتَ اللهَ ورسولَه»[5]، وقال: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[6] لذا كان من أشرف الأعمال خدمة بيوت الله، لأنّ خادمها إذا أماط الأذى وهو يقول: لا إله إلّا الله، فقد جمع بذلك بين الشّعبة الأولى والأخيرة من شعب الإيمان.

٣. الحرص على الصّلاة إلى السّترة، لقوله ﷺ: «إِسْتَتِرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَوْ بِسَهْمٍ»[7] والحذر الحذر من قطع الصّلاة، لحديث رسول الله ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ المَارُّ بَيْنَ يَدَيِ المُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ، لَكَانَ أَنْ يَقِفَ أَرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أَنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ»[8] ونحن مأمورون بردّ من يريد أن يقطع صلاتنا، قال ﷺ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ إِلَى شَيْءٍ يَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ فَأَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَجْتَازَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلْيَدْفَعْهُ فَإِنْ أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْطَانٌ»[9].

٤. عدم الإسراع عند سماع الإقامة، لقوله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الإِقَامَةَ، فَامْشُوا إِلَى الصَّلاة وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالوَقَارِ، وَلا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»[10].

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١١٤.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي قتادة، حديث رقم: ١١٦٣، كتاب: التهجد، باب: ما جاء في التطوع مثنى مثنى.
(٣) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أنس بن مالك، حديث رقم: ٤١٥، كتاب: الصّلاة، باب: كفّارة البزاق في المسجد.
(٤) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي ذر، حديث رقم: ٥٥٣، كتاب: المساجد ومواضع الصّلاة، باب: النهي عن البصاق في المسجد.
(٥) رواه أبو داود في سننه، عن أبي سهلة السائب، حديث رقم: ٤٨١، كتاب: الصّلاة، باب: في كراهية البزاق في المسجد، الحديث حسن لغيره.
(٦) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٣٥، كتاب: الإيمان، باب: شعب الإيمان.
(٧) رواه الحاكم في المستدرك، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ سَبْرَةَ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، حديث رقم: ٩٢٦، كتاب: الطهارة، باب: أما حديث عبد الرحمن بن مهدي، الحديث صحيح.
(٨) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبو جهيم، حديث رقم: ٥١٠، كتاب: الصّلاة، باب: إثم المارّ بين يدي المصلي.
(٩) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبو سعيد، حديث رقم: ٥٠٩، كتاب: الصّلاة، باب: يردّ المصلي من مرّ بين يديه.
(١٠) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٦٣٦، كتاب: الأذان، باب: لا يسعى إلى الصّلاة، وليأت بالسكينة.

٥. عدم أكل أو شرب أو تعاطي ما له رائحة كريهة، ومنها الثّوم والبصل والدّخان، وكلّ ما يؤذي المصلّين، لحديث رسول الله ﷺ: «مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ»[١].

إنّ المساجد التي هي بيوت الله، هي خير بقاع الأرض وأحبّها إلى المولى ﷻ، ولهذا يقول النّبيّ ﷺ: «أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا»[٢]؛ لأجل ذلك، فإنّه يحسن بنا أن نقف وقفات عجالًا مع آداب المسجد، ونذكر شيئًا من أحكام الحضور إليه والجلوس فيه:

الإسهام في بناء المسجد وعمارته، فهو من سمات أهل الإيمان الذين يرجون موعود الله والدّار الآخرة. واعلم أنّ عمارة المسجد على نوعين:

أ. **عمارة المساجد الحسّيّة:** ونعني بها بناء مكان يأوي إليه النّاس ليصلّوا فيه، ويتعبّدوا ربّهم تحت جدرانه. وقد ثبتت جملة من النّصوص الشّرعيّة التي تحثّ على بناء المساجد، والعناية بشؤونها، وحفظها من الأوساخ والأدران، ومنع السّفهاء والغوغاء من الإضرار بها، منها: قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللهِ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾[٣] وحذّر تعالى من إفسادها فقال ﷻ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾[٤].

وعن عائشة ﵂ قالت: "أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبِنَاءِ المَسَاجِدِ فِي الدُّورِ، وَأَنْ تُنَظَّفَ، وَتُطَيَّبَ"[٥]. وعن ابن عبّاس ﵄ قال: قال ﷺ: «مَنْ بَنَى للهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ لِبَيْضِهَا، بَنَى اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»[٦].

ب. **عمارة المساجد المعنويّة:** هي الأصل الأصيل في العمارة، فالمراد بها: أداء الصّلاة فيها والاعتكافُ وقراءة القرآن وذكر الله، واتّخاذها منطلقًا للتّوجيه والتّربية ونحو ذلك. أمّا مجرد عمارة المسجد وزخرفته والتباهي بحسن بنائه وتصميمه، مع خلوّه من العبّاد والمصلّين فليس مرادًا في الشّرع، كما هو حاصل في كثير من بلاد الإسلام اليوم، ولله درّ القائل:

مَنَائِرُكُمْ عَلَتْ فِي كُلِّ حَيٍّ ... وَمَسْجِدُكُمْ مِنَ العُبَّادِ خَالِي

وَجَلْجَلَةُ الأَذَانِ بِكُلِّ فَجٍّ ... وَلَكِنْ أَيْنَ صَوْتٌ مِنْ بِلَالِ؟!

إنّ العمارة الحقيقيّة للمسجد هي إحياء ذكر الله فيه وإقام الصّلاة، يقول تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ* رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾[٧].

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»"[٨] والرّباط المرغّب فيه في الحديث، هو حبس النّفس على هذه الطّاعة.

(١) رواه مسلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله، حديث رقم: ٥٦٤، كتاب: المساجد ومواضع الصّلاة، باب: نهي من أكل ثومًا أو بصلًا أو كراثًا.
(٢) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٦٧١، كتاب: المساجد ومواضع الصّلاة ، باب: فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وفضل المساجد.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٨.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١١٤.
(٥) رواه التّرمذيّ في سننه، عن عائشة، حديث رقم: ٥٩٤، كتاب: أبواب السفر، باب: ما ذكر في تطييب المساجد، الحديث صحيح.
(٦) رواه أحمد في مسنده، عن ابن عبّاس، حديث رقم: ٢١٥٧، مسند: بني هاشم، مسند: عبد الله بن العبّاس بن عبد المطلب، الحديث صحيح لغيره.
(٧) سورة النّور، الآية: ٣٦-٣٧.
(٨) رواه مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٢٥١، كتاب: الطهارة، باب: فضل إسباغ الوضوء على المكاره.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «... فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ، وَأَتَى المَسْجِدَ، لا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلاة، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ خَطِيئَةً، حَتَّى يَدْخُلَ المَسْجِدَ، وَإِذَا دَخَلَ المَسْجِدَ، كَانَ فِي صَلاةٍ مَا كَانَتْ تَحْبِسُهُ، وَتُصَلِّي - يَعْنِي عَلَيْهِ المَلائِكَةُ - مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ: اللهمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللهمَّ ارْحَمْهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ»[1].

في السّيرة والشّمائل

قصّة ثمامة بن أثال وحبس الكافر في المسجد:

عن أبي هريرة ﷺ قال: "بَعَثَ النّبيّ ﷺ خَيْلًا قِبَلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي المَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النّبيّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلْنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ المَالَ فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، فَتُرِكَ حَتَّى كَانَ الغَدُ، ثمّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمْ تُنْعِمْ عَلَى شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ» فَانْطَلَقَ إِلَى نَجْلٍ قَرِيبٍ مِنَ المَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ ثمّ دَخَلَ المَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ البِلادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ العُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلا وَاللهِ، لا يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ، حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النّبيّ ﷺ"[2].

برّ ثمامة ﷺ بقسمه، وكانت ميرة قُرَيْش وَمَنَافِعُهُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ، ثمّ خَرَجَ فَحَبَسَ عَنْهُمْ مَا كَانَ يَأْتِيهِمْ مِنْهَا مِنْ مِيرَتِهِمْ وَمَنَافِعِهِمْ، فَلَمَّا أَضَرَّ بِهِمْ كَتَبُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ: إِنَّ عَهْدَنَا بِكَ وَأَنْتَ تَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَتَحُضُّ عَلَيْهَا، وَإِنَّ ثُمَامَةَ قَدْ قَطَعَ عَنَّا مِيرَتَنَا وَأَضَرَّ بِنَا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَكْتُبَ إِلَيْهِ أَنْ يُخَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مِيرَتِنَا فَافْعَلْ. فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ: أَنْ خَلِّ بَيْنَ قَوْمِي وَبَيْنَ مِيرَتِهِمْ... فامتثل لأمر النّبيّ ﷺ، وكان من فضلاء الصّحابة، وهدى الله به خلقًا كثيرًا من قومه، وظلّ ما امتدت به الحياة وفيًّا لدينه، حافظًا لعهد نبيّه، فلمّا التحق الرّسول ﷺ بالرّفيق الأعلى، ارْتَدَّ أَهْلُ الْيَمَامَةِ عَنِ الإِسْلامِ غَيْرَ ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ وَمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ، فَكَانَ مُقِيمًا بِالْيَمَامَةِ يَنْهَاهُمْ عَنِ اتِّبَاعِ مُسَيْلِمَةَ وَتَصْدِيقِهِ، وَيَقُولُ: إِيَّاكُمْ وَأَمْرًا مُظْلِمًا لا نُورَ فِيهِ، وَإِنَّهُ لَشَقَاءٌ كَتَبَهُ اللهُ تعالى عَلَى مَنْ أَخَذَ بِهِ مِنْكُمْ، وَبَلاءٌ عَلَى مَنْ لَمْ يَأْخُذْ بِهِ مِنْكُمْ يَا بَنِي حَنِيفَةَ.[3]

قال الحافظ ابن حجر: "وفي قصّة ثمامة من الفوائد: ربط الكافر في المسجد، والمنّ على الأسير الكافر، وتعظيم أمر العفو عن المسيء، لأنّ ثمامة أقسم أنّ بغضه انقلب حبًّا لما أسداه النّبيّ ﷺ إليه من العفو والمنّ بغير مقابل، وفيه الاغتسال عند الإسلام، وأنّ الإحسان يزيل البغض ويثبّت الحبّ، وأنّ الكافر إذا أراد عمل خير ثمّ أسلم، شرع له

(١) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٤٧٧، كتاب: الصّلاة، باب: الصّلاة في مسجد السوق.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن أبي هريرة، حديث رقم: ٤٣٧٢، كتاب: المغازي، باب: وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال.
(٣) انظر، ابن عبد البرّ في الاستيعاب، كتاب: حرف الثاء، باب: ثمامة بن أثال الحنفي، ج١، ص٢١٥-٢١٦.

أن يستمرّ في عمل ذلك الخير، وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه من الأسارى إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولا سيّما من يتّبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه، وفيه بعث السّرايا إلى بلاد الكفّار وأسر من وجد منهم، والتّخيير بعد ذلك في قتله أو الإبقاء عليه" [1].

ألا لا يصلّينّ أحد العصر إلا في بني قريظة:

أمر النّبيّ ﷺ أصحابه بسرعة الخروج إلى بني قريظة قبل أن يتحصّنوا بحصونهم، فعَنِ ابن عُمَرَ، قَالَ: "قَالَ النّبيّ ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الأَحْزَابِ: ﴿لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ﴾ فَأَدْرَكَ بَعْضَهُمُ العَصْرُ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدْ مِنَّا ذَلِكَ، فَذُكِرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَلَمْ يُعَنِّفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ"[2].

قال النّووي: "وأما اختلاف الصّحابة ﷺ في المبادرة بالصّلاة عند ضيق وقتها وتأخيرها، فسببه أنّ أدلة الشّرع تعارضت عندهم بأنّ الصّلاة مأمور بها في الوقت، مع أنّ المفهوم من قول النّبيّ ﷺ ﴿لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ- أو الظّهر- إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ﴾ المبادرة بالذّهاب إليهم، وأن لا يشتغل عنه بشيء، لا أنّ تأخير الصّلاة مقصود في نفسه من حيث إنّه تأخير، فأخذ بعض الصحابة بهذا المفهوم نظرًا إلى المعنى لا إلى اللفظ، فصلّوا حين خافوا فوت الوقت، وأخذ آخرون بظاهر اللفظ وحقيقته فأخّروها، ولم يعنّف النّبيّ ﷺ واحدًا من الفريقين لأنّهم مجتهدون، ففيه دلالة لمن يقول بالمفهوم والقياس ومراعاة المعنى، ولمن يقول بالظّاهر أيضًا، وفيه أنّه لا يُعَنَّف المجتهد فيما فعله باجتهاده، إذا بذل وسعه في الاجتهاد، وقد يُستدلّ به على أنّ كلّ مجتهد مصيب..." [3].

وفيه دلالة على أنّ المجتهد سواء أصاب أو أخطأ فإنّه غير ملوم على اجتهاده، بل إن أصاب كان له أجران، وإن أخطأ فخطؤه موضوع عنه، وله أجر على اجتهاده.

في السّلوك

الإشارة: مساجدُ الله هي حضرة القلوب وحضرة الأرواح وحضرة الأسرار، فحضرة القلوب لأهل المراقبة من أهل الإيمان، وحضرة الأرواح والأسرار لأهل المشاهدة والمكالمة من أهل الإحسان، فمن منع نفسه من الدّخول في هذه الحضرات الثّلاث، وسعى في خراب باطنه باتّباع الحظوظ والشّهوات، ومال إلى الدّنيا وزخارفها الغرّارات، فلا أحد أظلم منه نفسًا، ولا أبخس منه صفقةً. فلا ينجعُ في هؤلاء إلا خوفٌ مُزعج أو شوقٌ مقلق. فإن لم يكن أحد من هذين بقي على غيّه حتّى مخايل الموت، فيحنّ إلى الدّخول فيها خائفًا، ولا ينفع حينئذٍ النّدم، وقد زلّت به القدم، له في الدّنيا ذلك الفقر والجزع، وله في الآخرة غمّ الحجاب وسوء الحساب وحسرة العتاب.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَـئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾.

(١) ذكره ابن حجر العسقلانيّ في فتح الباري، باب: وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، ج٨، ص٨٨-٨٩.
(٢) رواه البخاريّ في صحيحه، عن ابن عمر، حديث رقم: ٩٤٦، كتاب: أبواب صلاة الخوف، باب: صلاة الطالب والمطلوب راكبًا وإيماء.
(٣) ذكره النوويّ في شرحه على مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر، ج١٢، ص٩٨.

الإشارة: إنّ الظّالم مَنْ خَرَّبَ أوطان العبادة بالشّهوات، وأوطان العبادة نفوس العابدين. وخَرّبَ أوطان المعرفة بالمُنى والعلاقات، وأوطان المعرفة قلوب العارفين. وخَرَّب أوطان المحبّة بالحظوظ والمُساكنات، وهي أرواح الواجدين. وخرَّب أوطان المشاهدات بالالتفات إلى القربات، وهي أسرار الموحّدين أي أن الظالم هو من يبتعد عن الإخلاص لله ويجعل الشهوات، والأماني، والعلاقات، أو حتّى الأعمال الصالحة حواجز تمنعه من الوصول إلى المعاني الروحيّة العميقة.

قوله جلّ ذكره: ﴿لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لأهل الإشارة خزي الدنّيا بذل الحجاب، وعذاب الآخرة الامتناع بالدّرجات.

المقصود في الدنيا: هؤلاء الناس يعيشون محرومين من نور الله وقربه، وهو أشد ذلًّا وخزيًا.

والمقصود في الآخرة: سيُمنعون من الوصول إلى المراتب العالية التي كان يمكن أن تكون لهم لو أطاعوا الله وأخلصوا له.

الإشارة: اعلم أنّ الأماكن والجهات، وكلّ ما ظهر من الكائنات، قائمة بأنوار الصّفات، ممحوّة بأحاديّة الذّات، «كان الله ولا شيء معه، وهو الآن على ما عليه كان» إذ لا وجود لشيء مع الله، ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾، محق الآثار بأفلاك الأنوار، وانمحت الأنوار بأحاديّة الأسرار، وانفرد بالوجود الواحد القهّار.

﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

الإشارة منها إلى مشارق القلوب ومغاربها، وللقلوب شوارق وطوارق، فطوارقها هواجس النّفوس تطرق في ظلمات المنى والشّهوات، وشوارقها نجوم العلوم وأقمار الحضور وشموس المعارف. فما دامت الشّوارق طالعة فَقِبلةُ القلوب واضحة ظاهرة، فإذا استولت الحقائق خَفَي سلطانُ الشّوارق، كالنّجوم تستتر عند طلوع الشّمس، كذلك عند ظهور الحقّ يحصل اصطلام وقهر، فلا شهود رسم، ولا بقاء حِسٍّ وفَهْم، ولا سلطان عقل وعلم، ولا ضياء عرفان. فإنّ وجدان هذه الجملة صفات لائقة ببقاء البشريّة، وإذا صار الموصوف محوًا فأنّى لهم ببقاء الصّفة، أي أنّ القلوب قد تكون مظلمة بالأماني والشهوات أو مشرقة بالعلم والحضور. لكن عندما يظهر الحقّ الإلهيّ بشكل كامل، تزول كلّ هذه الصفات البشريّة لأنّ عظمة الله تطغى على كلّ شيء، فلا يبقى للإنسان إلا الفناء في الحقّ.

في الإعجاز العلميّ

في أشراط السّاعة

في الأدعية والأذكار

اللَّهُمَّ باعِدْ بَيْننا وبَيْنَ خَطايانا كَما باعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنا مِن الخَطايا كَما يُنَقّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَس، اللَّهُمَّ اغْسِل خَطايانا بالماءِ والثَّلْجِ والبَرَدِ.